اقرأ المقتطف التالي من رواية(الصَقْر) للرّوائيّ: جيلبير سينويه، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

كلّ كتاب يقرأه الصغار سوف يفتح عيونهم على عوالم جديدة، ولسوف يبدعون هم أيضًا بدورهم.

العين، سبتمبر (1960)

ما زالت ترنّ في أذني صرخات الأم، وأرى الأب متعلقًا بذراعي كالغريق، والطفلة الصغيرة راقدة على حصير من قصب، منطوية على نفسها، تتلوى من الألم.

خرجت مسرعًا لأجدني في غرفة صغيرة، عاجزًا، غير ذي فائدة، موزّعًا بين اليأس والسّخط. الطفلة ذات السنوات العشر تتألم ألمًا مبرحًا وليس من طبيب، لا هنا في العين، ولا في أي مكان آخر في البلاد، وما من مستوصف، ولا مشفى.

قبل شهرين، عندما مرضت والدتي سلامة –رحمها الله– اضطررنا إلى استدعاء طبيب إنجليزي من دبي، أمضى وقتًا طويلًا للوصول نظرًا إلى عدم وجود طرق للمركبات. لا توجد لديّ أيّة معرفة طبّيّة بحالة الفتاة لكنّي أيقنت أنّها معرّضة للموت إن لم تتلقّ العلاج على وجه السرعة.

أمرت الأب: "ارفعها! احملها إلى سيارتي". تمتم: "إلى أين تأخذها يا زايد؟" "إلى الشارقة". ولولت الأم: "الشارقة؟ لماذا؟"، " لأنّ أقرب مستشفى يوجد هناك".

مئة وخمسون كيلومترًا تفصلنا عن الشارقة، والمستشفى المقصود هو مستشفى سارة هوسمان، على اسم الطبيبة النسائية البريطانية التي أسسته منذ عشر سنوات، في الخمسينيات، بإيعاز من الشيخ صقر بن سلطان القاسمي. هناك سيكون الأطباء قادرين على علاجها.

لُفّت الفتاة بغطاء، ومدّدت على المقعد الخلفي للاندروفر. كيف أصف تلك اللحظات؟ مستحيل. ما مان كلمة تفي بالغرض. كانت حزمة الضوء المرتعشة الصادرة عن مصابيح السيارة تكتسح الكثبان وتضفي على الليل إحساسًا بالوحدة هائلًا. شعرت كما لم أشعر من قبل بما للصحراء من حضور كلّي، ساحر وقادر على سلب اللبّ. عبر واقية للريح يتسلّل نور الهلال وبريق النجوم. هل دعوتُ لها؟ أظنّ أنْ نعم. من كلّ كياني ابتهلت لخالق الأكوان. ما عدت أذكر ماذا طلبت. لا شك في أنني طلبت أن تتم مشيئته. على نحو متقطع كنت ألقي نظرة على مرآة الخلفيات التي تعكس لي وجه الفتاة وقسماتها التي شوّهها الألم. أسمع أنينها فأطمئنّ. ألا يدلّ الأنين على أنّ جسدها الصغير ما زال يقاوم الموت؟

LIVEWORKSHEETS

لا أدري لماذا كان تفكيري يتجه نحو هزّاع. لا شك أنني مازلت أفتقد أخي. فارقنا منذ سنتين. أذكر ذلك وكأنّه حصل البارحة.

في العشرين من يناير (1958) كنّا في نيويورك. من خلال الكوّة الزجاجية في إحدى غرف المستشفى رحت أتأمّل مياه نهر هادسن المنسابة ببطء تحت سماء كئيبة. عن يميني يرتسم جسر جورج واشنطن. وكانت تمطر.

عدت لأجلس قرب السرير. وجه هزّاع صافٍ هادئ. المخدّر الذي حُقِن به قد فعل فعله. قبل أسبوع، عندما علمت بالخبر من الطبيب برسكوت خارت ركبتاي: "سرطان مُتَفَشٍّ. لا أمل". لم أقل شيئًا لأخي. ما الفائدة؟ لقد فهم.

سواء أعاش المرء حياة سعيدة أم لا، وسواء أخاب أمله في الوجود أم نال ما يرضيه، يبقى متعلّقًا بالحياة وهشاشة ما تبقّى له من يربطه بالعالم. يُحدّق في باب الغرفة. يخمّن خطوات الذهاب والإياب ويحلم باجتياز العتبة. حركة بسيطة، لكنها في تلك اللحظات تكتسب قيمة لا تُقدّر.

أمسكت بيد أخي. فتح عينيه. ابتسم لي ابتسامة واهنة. انفرجت شفتاه لكن لم ينبس بكلمة. أحيانًا كنت إخال أنه لم يتنفس لفرط ما كان تنفسه ضعيفًا. من وقت إلى آخر كانت تدخل ممرضة، تقيس ضغطه. تفحص القطّارة. تتبادل معي نظرة آسفة، وتخرج.

أخي الأكبر، خالد، كان هناك أيضًا، وكذلك والدتي. أصرّت على مرافقتنا إلى نيويورك على الرّغم من أنّها قاربت السبعين من العمر. ظلّت صامتة. برقعها يغطّي وجهها، وكانت عيناها مغرورقتين بالدّمع. يمكنني أن أقرأ فيهما كلّ يأس العالم واحتضار النجوم.

انقضت ساعات. حوالي الثالثة بعد الظهر أسلم هزّاع الروح لبارئها. انفجرت أمي بالنحيب مخفية وجهها بين ذراعي خالد. أمّا أنا فأشحت بوجهي ورحت أحدّق في المباني عبر الحاجز الزجاجي. حقدت على هذه المدينة التي تواصل حياتها، غير آبهة بحدادنا. تمنّيت لو أنّ أبراجها، وشوارعها، وحدائقها، تتشح بالسواد. أن تتوقف عقارب ساعاتها. ويتحوّل النهر إلى صحراء.

أريد أن أبني مستوصفًا في العين! أحتاج إلى مال. حالًا، الآن.

ما زلت أرى أمائر الدهشة التي اعترت أخي عندما أحطته علمًا بقراري. "ما فائدة المال من دون الصحة؟" ورويت له بأدقّ التفاصيل مأساة الصغيرة أمينة. ذكّرته بأن أحد أفراد عائلتنا لو نرض

LIVEWORKSHEETS

لأمكنه أن يسافر إلى الخارج لتلقي العلاج. أما أفراد شعبنا فلا. وشخبوط نفسه ألم ينتهز فرصة وجودنا في إنجلترا لاستشارة طبيب العيون؟ لا بد أنني كنت عاقد العزم على نحو رهيب حتى وافق في الحال.

LIVEWORKSHEETS